المقتبس ثمَّ طُبع على حدة ومن اعمل فيها نظر الفكر وجدهـا من افضل آثار ذاك العهد لفظاً ومعنى. ومنها كتاب كليلة ودمنة الذي يُعتبر تعريبهُ كفاتحة التعريبات عن الكتب الاجنبيّة

هذه ملحوظاتنـا على كتاب تاريخ الآداب العربيَّة كتبناها بسرعة ولم يسمح لنا ضيق الوقت ان نتتبع كلّ فصول الكتاب باباً باباً ولا شكّ ان المؤلف اذا تروّى في عملهِ يجد فيهِ غير ما حرَّرناهُ في هذه العجالة. ونكرّر في الختـام شكرنا لجنابهِ مؤمّلين ان نرى عمّا قليـل الاجزاء التالية جامعة لاسباب الحسن والاتقان

الانجيل الشريف

بحث نظري تاريخي للاب اطون رباط اليسوعي (تابع)

الفصل الثالث

في ان الاناجيل المقدسة صادقة المقال

بعد ان اثبتنا نسبة الاسفار الانجيليَّة الى المؤلفين المعزوَّة اليهم اي الى الرسولين متّى ويوحنا والرسوليَّين مرقس ولوقا واستفتينا التـاريخ والنقد العلمي فأفتيا ببراءة اسفارهم من كل تحريف وتزييف وانها هي كما خطَّتها يمين المؤرخين المختارين قد بلغنا الآن الى المرحلة الثالثة من ابحاثنا الانجيليَّة وهي النقد العلمي لتآليفهم لنعرف نصيبها من الصدق. يدّعي كتبة العهد الجديد انهم يشهدون للحقيقة ويبشرون بما رأوا وسمعوا وتأملوا ولمستهُ ايديهم من جهة كلمة الحياة ابن الله المتجسد (رسالة يوحنا الاولى ١ : ١) ولكن انّى لنا ان نتثبّت صدق مدّعاهم؟ وما هي حجّتهم في حقيقة ما اخبروا؟

ومن ثمَّ يرى القارئ الاديب عظم خطورة هذا البحث الاساسي. فما الفائدة من كتابة عرفتَ صاحبها وتأكدتَ براءتها من التحريف اذا كان مؤلفها ممَّن لا يوثق بكلامهِ وان عرضتها على محكّ النقد بانَ اختلاقها للعيـان. لا سيَّما وان الموضوع ليس ممَّا لا يُعتدّ به ولا يُكترث لهُ فهو اهمّ المواضيع لِما وراء قبولهِ او رفضهِ

من النتائج والتبعات العمليَّة. فان كان الانجيل حقًّا وناشروه صادقين في ما شهدوا كان الدين المسيحي وحدهُ الدين القويم الذي ارادهُ الله لعبادهِ ووجب عليك الاقرار بتعليمهِ والسير على سراط احكامهِ وان كانوا على خلاف ذلك قد خدعونا بالكذب كنَّا وملايين من البشر منذ تسعة عشر قرناً ولا نزال متمسكين في الظلمات « فإيماننا باطل » بل نحن كما سبق فأعلن بولس الرسول « اشقى الناس اجمعين » (١ كو ١٥ : ١٩)

وهنا نكرّر على مسامع القارئ اننا معشر النصارى من كل الملل والشعوب نؤمن بوحي الانجيل اي نعتقدهُ كتاب الله وانهُ من ثمَّ بريٌّ من كل غشّ وضلال مجملًا ومفصلًا. وحاشاك ان تنسب الخداع الى الله وهو الحق سبحانهُ لا يَغُشّ ولا يُغَشّ. وكلُّ من يؤمن معنا ان الانجيل كتابُ الله انزلهُ هدًى ونورًا يقرُّ معنا بصدق مقاله فلا خلاف الآن بيننا وقد سبق لنا فاثبتنا علنيًا ان النصارى لم يحرّفوا الكلم عن موضعهِ. وان السفر الجليل كان ولا يزال بريئاً من كل تحريف معنوي ولفظي وحجَّتنا العلميَّة على ذلك لا تُردّ. لكنَّنا نواصل بحثنا هذا على لسارب علمي بمعزل عن الاعتقاد والوحي ليكون القارئ على بيِّنة من امر ايماننا سواء كان مؤمناً او غير مؤمن فيضطرهُ التاريخ والنقد والعلم الى الاقرار لنا بالحقيقة

﴿ صفات الشهادة الانجيليَّة ﴾ تمتاز الاناجيل عن غيرها من الكتب بصفات منها انها ليست مباحث علميَّة ولا منطقيَّة ولا بيانيَّة فيها يقدّم الكاتب مبدأ يتحرّى اثباتهُ بالبرهان النظريّ او النقليّ او يعرض قضيَّة نظرية على مثال الفلاسفة فيشرح الفاظها ويبيّن معانيها ويوضح صدقها. فالرسل عموماً والكتبة الانجيليون خصوصاً ليسوا الَّا « شهودًا » ينقلون ما سمعوا ويصفون ما رأوا فقط فهم يتوارون وراء شهادتهم لا يشعر بهم القارئ كأن الكاتب مجرَّد عن كلّ عاطفة إعجاب او انذهال امام اسمى ما ينقل من الاقوال والآيات والمعجزات وعن عاطفة غيظ او حنق امام اقصى درجات الخيانة وعلائم نكران المعروف. فقد جعلوا نصب عينهم غاية واحدة هي « الشهادة » لاقوال المسيح الرب واعمالهِ اجابةً لأمرهِ حيث كرَّر عليهم قائلًا انهم « الشهود لهُ في اورشليم وجميع اليهودية وفي السامرة والى اقصى الارض » (اعمال ١ : ٨ ولوقا ٢٤ : ٤٨) فلا يطمعون بفصاحة الكلام ولا يدّعون القدرة على

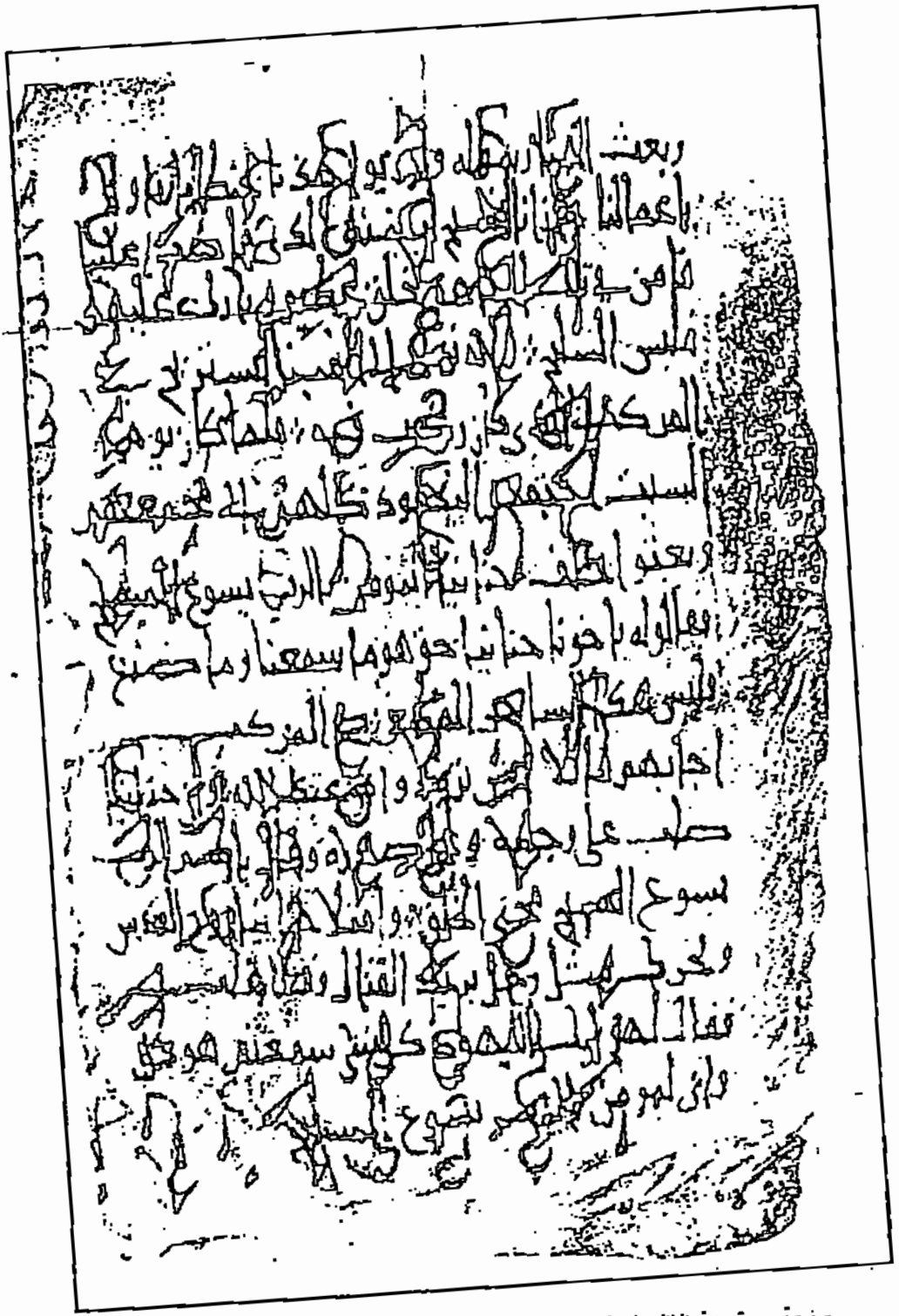

صفحة من ترجمة الاناجيل البسيطة (يوحنا ٦ : ٥٣-٥٨) بالخط السرياني السطرنجلي من القرن الخامس كتبت على رق ثم غسيت فكتب عليها خط عربي احدث (Studia Syriaca XI)

الجدال لاقناع السامعين لكنهم يشهدون لآيات الرب ودعوته ووعده ووعيده وعجائبه وموته وقيامته من الموت ويؤكدون حقيقتها بقولهم «نحن كنا شهود بذلك» (اعمال ٢ : ٣٢ و٣ : ١٥ و٥ : ٣٢ و١٠ : ٣٩)

ولكن ليس كل من يدّعي الشهادة جديرًا بالتصديق وكثيرًا ما شهد الشهود زورًا كما نراه بامّ العين. فقد يكون الشاهد خدّاعًا كاذبًا اختلق الحوادث او زاد فيها وانقص منها فسخها فتُنكر عليه الصدق. او يكون جاهلًا او مخدوعًا أُضِلّ فضَلّ فتنكر عليه معرفة الحقيقة

وكذلك الانجيليون والرسل. فقد يكونون قد زوّروا علينا الاخبار عمدًا واختلقوها وافتروا علينا فأضلّونا لغايات في الصدور فليسوا برواة ثقة ولا بشهود عدل لكنهم خدّاعون ومضلّون. وقد يكونون ضُلّوا وخُدعوا فأضلّونا وخدعونا لا عمدًا لكن عن جهل او سذاجة او حماقة. وبصريح الكلام فهم غشاشون او مغشوشون ومضلّون او ضالون. وفي كلتا الحالتين يرذل العاقل شهادتهم وينبذها نبذ النواة

هذا محور الاستقراء والامتحان في المحاكم. فاجلس ان شئتَ على منصة الحكم والقِ عنك الاوهام واسعَ وراء الحقيقة بصدق سريرة وخلوص نيّة واستنطق الشهود واعرض كلامهم على محكّ النقد بلا محاباة ولا خشية فالذهبُ ذهبٌ ولو امتُحن بالنار والدينُ القويم لا يخشى علمًا ولا نقدًا. وها نحن نعضدك في استنباط كل ما يمكن الاعتراض به عليهم. فاذا تمحص لك الحق لا تكن غير مؤمن لكن مؤمنًا

القسم الاول

في براءة الانجيليين من الغش والخداع

ما من احد يجهل ان اسفار الانجيل الاربعة تلخص سيرة ابن الله المتجسد على الارض فتصف ميلادهُ وعيشتهُ الخفيّة وبشارتهُ وتعاليمهُ وعجائبهُ واضطهاد اليهود لهُ ثمّ صلبهُ وموتهُ وقيامتهُ من بين الاموات وظهورهُ للرسل ولعدد من التلامذة وامره لهم ان يذهبوا ويبشروا ويتلمذوا الامم والشعوب ويشهدوا لكل ما رأوا

وسمعوا لا يهابون الموت حبًا به. هذا ملخص الخبر الانجيلي فهل للمعارض ان يقابل بالنكران كلّ ما جاء في الاسفار الاربعة فيرفضها مدّعياً انها باجمعها رواية تخيلية لا اصل لها. لكن هذا القول هو ضرب من الحماقة لم يرضَ بهِ عاقل ولا يليق بنا ان نبحث فيه

وقد لا ينكر الخصم ما جاء في الاناجيل عن حياة يسوع الزمنية ولكنهُ ينبذ كلّ ما يراهُ عجيباً يفوق قدرة الطبيعة فيلقي على روايتهِ الشبهات ويسعى في شرحهِ شرحاً طبيعياً او اذا لم يستطع الى ذلك سبيلًا ينكرهُ بتاتاً وينسب الى الكتبة الغشّ او الضلال. هذا ما صنعهُ الملحدون والمعطّلون والكفرة في الاجيال السالفة وبالغوا بهِ في ايامنا. فاذا سألتهم عن السبب اجابوك مع رينان « ان المبدأ الذي لا يحيدون عنهُ هو عدم الرضى بالعمل ايًّا كان اذا فاق قدرة الطبيعة ونكران كل ما يُسمى اعجوبة. فاذا وجدوا في الانجيل شيئاً من ذلك عزَوهُ إمَّا لخداع الشاهد وإمَّا لجهلهِ ». واذا استطلعت طالعَ حجّتهم على هذا المبدإ المزعوم قالوا إنهم لا يرضون الّا بما يثبتهُ العلم بالاستقراء الحسّي. فاذا تصدَّيت لهم وبيَّنت انَّ العجائب لمَّا يمكن اثباتهُ بالاستقراء الحسّي فان الميت مثلًا اذا دُفن ثمَّ قام من القبر معافى لمَّا تتأكدْ بالنظر والسمع واللمس وغيرها من الحواس وان الشهادة التاريخيَّة اذا استوفت شروطها ممَّا يوجب الاقناع رفضوا الجدال مستندين الى مبدأهم العلمي. لكن العلم براء من زعمهم ووهمهم. فالعالم مَن يستقرئ الحوادث ويثبتها ثم يسعى فيحلّ مشاكلها قدر طاقتهِ ليس من يخترع مبدأ ويحوّل اليهِ الحوادث بالرغم عنها غير مكترث بالتاريخ والنقد والشهادة

واذا نقَّبت عن كنه معتقدهم رأيتهم جاحدين للخالق عزّ وجلّ منكرين لوجوده وقدرتهِ لا يرضون الّا بالمادة. فمع هؤلاء وامثالهم لا سبيل الى البحث ولا فائدة ان لم يؤمنوا بالنفس البشرية وبمبدع الاكوان القدير العليم وبالحياة الاخرى وإلّا كان الجدال عبثاً. على انهم وإن عاندوا الحقيقة وصمّوا الاذن واغمضوا العين عن مسمعها ومرآها الوضّاح لا يستطيعون ان يضربوا صفحاً عن مسألة الدين فهو حادث تاريخي وسرّ غريب

وُجد شخص ادعى انهُ مرسل من الله وانهُ الهٌ وعمل اعمالًا عجيبة ومات صلباً

وقام فآمن بهِ العالم وكسروا الاصنام وعبدوا المصلوب وانقلبت من جرَّائهِ احوال المسكونة وترقَّت في سلَّم التمدن والعمران. فمن ذا الرجل وما هي اعماله ؟

﴿ التمييز بين الشاهد الصادق وشاهد الزور ﴾ مهما سعى المخادعون إلباس خداعهم لباس الصدق لا بدَّ ان يظهر للعيان عاجلًا او آجلا فيعودون خاسرين لان « حبل الكذب قصير » كما يقول المثل الدارج وكيفما ارتدى الذئب بثوب الحمل فيبدو ذَنَبهُ فيُعرف ويُطرد

والكشف عن الحقيقة يقوم بالنقد والبحث في احوال الشهود ومعرفتهم للحوادث التي ينقلونها كأنهم رأوها او اطَّلعوا عليها وفابحتهم وطباعهم وحركاتهم وكلامهم وغايتهم من الشهادة وفائدتهم منها ومعارضة اقوالهم مع بعضها ومع غيرها من الاقوال والآثار والشهادات الثابتة الى غير ذلك من البينات التي بها تُكشف الرغوة عن الصريح فيُميَّز بين الصادق والكاذب والامين والمخادع. فهلمَّ بنا نتتبَّع هذه المباحث فنستنطق الانجيليين ونطالبهم بكل ما لدينا ولدى الاخصام من التُّهم والشبهات والشكاوي عسانا نصل الى الحقيقة العلميَّة المرغوبة

١ معرفة الانجيليين للحوادث التي يصفونها

اثبتنا في فصلنا الاول نسبة الاسفار الانجيليَّة الاربعة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا بالبرهان النقلي واقرار الكتبة فعلينا الآن ان نؤكدهُ بالنقد الداخلي ايضاً فيظهر لكل ذي بصيرة انهم عيانيون شاهدوا او سمعوا وتاكدوا ما سمعوا فهم احرياء بالتصديق

﴿ متى ﴾ ويُسمَّى لاوي ايضاً كان وكيلًا على جمع العشور في كفرناحوم وضواحيها وكان جالساً على مائدة الجباية عند ما مرَّ يسوع فقال لهُ « اتبعني » فقام وتبعهُ (متى ٩:٩ و١٠:٣ ومرقس ١٤:٣ ولوقا ٢٧:٥) ورافق المخلص في مدة البشارة وشاهده بعد قيامته وبشر بهِ في انحاء الشرق. قال قوم انهُ ذهب الى بلاد العرب والعجم وقال آخرون انهُ بشر في انحاء ما بين النهرين وفي الحبشة

وقبل انفراط سلك الرسل وتفرقهم في اقطار المسكونة للبشارة اي نحو السنة الثانية عشرة لقيامة المخلص كتب سفره الجليل لفائدة مواطنيهِ العبرانيين المتنصرين

ألَّفهُ باللغة الارامية ومنها نُقل او نقلهُ مولفهُ المختار الى اللغة اليونانية

﴿ مرقس ﴾ يعتقد جمهور الاقدمين والمحدثين المدققين انهُ يوحنا مرقس الذي ورد ذكرهُ في اعمال الرسل ورسائلهم . اسم امهِ مريم كانت تسكن اورشليم والى بيتها لجأ بطرس عند ما اخرجهُ الملاك من الحبس . قال لوقا البشير : وتوجه [بطرس] الى مريم امّ يوحنا الملقَّب مرقس حيث كان قوم كثيرون مجتمعين يصلُّون (اعمال ١٢ : ١٢) وذهب قوم انهُ الشاب الذي ورد ذكرهُ في وصف آلام المخلص (مرقس ١٤ : ٥١) . ولم يكن مرقس رسولاً لكنهُ لحق بالرسل بعد القيامة فرافق بولس وبرنابا الى انطاكية سنة ٤٤ للميلاد وبشر معهما في قبرص وبمفيلية ثم عاد الى اورشليم . وفي سنة ٥١ نراه في انطاكية (اعمال ١٥ : ٣٦ الخ) ثم في رومية سنة ٦١ برفقة بولس (كولو ٤ : ١٠ وتيموثاوس ٢ تيمو ٤ : ٨ و ١١) وسنة ٦٤ برفقة بطرس هامة الرسل (١ بطرس ١ : ١) الذي اتخذه لهُ كاتباً وترجماناً وارسلهُ الى الاسكندرية فاسس كرسيها باسم معلمهِ كما جاء في الآثار العتيقة الموثوق بصدقها . وقد كتب سفره بعد ان سمع من معلمهِ ومن سائر الرسل سيرة المخلص واعماله . قال رنان : « ترى في هذا السفر كأن الكاتب يصوّر الحوادث امام ناظرك فهو ينقل تذكرات حقيقيَّة حيَّة يكتبها بنفس حي »

﴿ لوقا ﴾ انطاكي الاصل ولد من ابوين وثنيين وتلقى الدروس الطبية والادبيَّة فبرع فيها كما يظهر لنا من سفره الانجيلي وكتاب اعمال الرسل ودخل في النصرانيَّة منذ اول انتشارها وتتلمذ لبولس ورافقهُ في كلّ اسفارهِ وسمع البشارة الشفاهيَّة من برنابا وفيلبوس وبطرس ويعقوب وغيرهم (اعمال ٢١ : ٨ و ١٨ الخ) وكتب الانجيل بايعاز بولس وبعد البحث والتدقيق والتروي كما اخبر في فاتحته (لوقا ١ : ٣) والحقهُ في السنة ٦٢ او ٦٣ بكتاب اعمال الرسل . ذهب جمهور الشارحين الكاثوليكيين وعدد من البروتستانت مثل فرّار (Farrar) وكوده (Godet) وساندي (Sanday) انهُ قابل العذراء امّ المسيح لما في انجيلهِ من وصف عواطفها السريَّة (لوقا ٢ : ١٩ و ٥١) ونقل فقرات الفصلين الاولين كما سمعها بتعبيرها الارامي الذي يختلف عن سائر فصول انجيلهِ

﴿ يوحنا ﴾ التلميذ الذي احبهُ الرب لسلامة سريرتهِ وطهارة قلبهِ تبع المسيح

منذ البدء حتى الصليب واخباره مذكورة في الانجيل والاعمال. بشر سنين في بلاد فلسطين ثم جاء الى افسس وهناك علّم وكرز وتتلمذ لهُ الكثيرون من الآباء الاولين واضطُهد في رومية ونُفي الى بطموس. ومنها عاد الى افسس حيث مات في شيخوخة جليلة في اواخر القرن الاول للميلاد وقد كتب انجيلهُ الالهي بين سنة ٨٥ و٩٥ للميلاد

شهد البشير الطاهر لذاتهِ مرارًا في سفرهِ (١ : ١٤) وفي رسالتهِ التي يعتبرها العلماء كتوطئة لانجيلهِ انهُ يبشر بما عاين قال: الذي كان من البدء الذي سمعناه الذي رأيناه بعيوننا الذي تأملناه ولمستهُ ايدينا من جهة كلمة الحياة لان الحياة قد ظهرت ورأيناها ونشهد ونبشركم بالحياة الابديَّة التي كانت عند الاب فظهرت لنا. الذي رأيناه وسمعناه به نبشركم لتكون لكم ايضاً شركة معنا وشركتنا انما هي مع الاب ومع ابنهِ يسوع المسيح (١ يوحنا ١ : ١ — ٤) وقال في انجيلهِ (١٩ : ٣٥): والذي عاين شهد وشهادتهُ حقّ وهو يعلم انهُ يقول الحقَّ لتؤمنوا انتم. وخُتم السفر بهذه الآية: وهذا التلميذ هو الشاهد لهذه الامور وهو الكاتب لها وقد علمنا أن شهادتهُ حقٌّ. فكأن جمهور النصارى المعاصرين يسجلون بهذه الفقرة الاخيرة كلام البشير المحبوب من سيده ويشهدون لهُ بالامانة والصدق

فاي قاضٍ عادل ينكر على هؤلاء الشهود الاربعة معرفتهم لما يشهدون فقد رأوا وسمعوا وشهدوا وكتبوا ما كتبوا وكان منات من الذين عرفوا المخلص وسمعوه ورأوا معجزاته وتأكدوا قيامته لا يزالون احياء. فلم ينكر احد حقيقة النقل ولم يُعزُ اليهم الخداع والكذب

ولعلَّ معترضاً يعترض علينا قائلاً ان الانجيليين وصفوا امورًا لم يروها بعيونهم كالبشارة بالمخلص وميلادهِ وعيشتهِ الخفيَّة وتجربتهِ في البرية الخ

نجيب ليس الاعتراض بحديث فقد سبق القديس اغسطينوس فنقدهُ في كتابهِ عن اتفاق الاناجيل (De Consensu Evangel. I. 1.) فاجاب انهم كان يمكنهم معرفة هذه الامور إمَّا من المخلص بالذات (اعمال ١ : ٣ واطلب مقالتنا في تجربة المسيح في المشرق ١٤ : ٢٠٥) او من العذراء (لوقا ٢ : ١٩ و٥١) او من غيرهم كيعقوب نسيب المخلص الخ

وقد لا يكتفي الخصم بجوابنا فيقول: لكن هناك اخباراً نقلها الانجيلي لوقا مثلاً ولم يستطع ادراكها بتدقيق كما ادّعى (١: ٢) لانها مما لا يتأكد الّا بشهادة صاحبها يريدون بذلك حبل مريم بيسوع بنوع يفوق قوى الطبيعة

نجيب اوّلاً: ان الغاية التي نتحراها في مباحثنا هذه العلميّة المحضة بمعزل عن الوحي في حقيقة التاريخ الانجيلي وصدق كتبته هو تبيان اساس الدين المسيحي والدين المسيحي مؤسس على بشارة المخلص وتعليمه وعجائبه وقيامته وتسميه للنبوات واقامته للكنيسة وهذا لا علاقة له ضرورية بسرّ الحبل البتولي

ثانياً: اذا اثبتنا — وسنثبت — حقيقة هذا الدين القويم نعود فنؤكد وحي الاسفار الانجيلية انها كلام الله بريئة من كل غش وضلال في كل محتوياتها. وهذا ما يتطلبهُ منّا سياق البراهين فترتبط حلقات سلسلتها ارتباطاً منطقياً بلا انفصام. فرجاؤنا من القارئ اللبيب ان لا يطالبنا بحلّ كل المشاكل دفعةً واحدةً وان لا يخلط بين الامور الاولية في بحثنا هذا والامور الثانوية

ثالثاً: اجل لم يُعرف سرّ الحبل البتولي الّا ببشارة مريم البتول. لكن الشرائع والنواميس ترضى بالشاهد الوحيد اذا كان اسمى من ان يُعزى اليه الكذب لعلو مقامه وكمال صفاته وهو ما سماه الشرع الروماني الشاهد الاعلى من ان يُطعن فيه (omni exceptione major) والعذراء مريم لهي هذا الشاهد كما يقرّ لها الجميع بذلك. وهاك شرحاً بسيطاً لا مردّ عليه: هذه التي شهدت لبتوليتها هي التي انشدت يوماً نشيدها وهي يومئذ صبية فقيرة جاءت تزور نسيبتها اليصابات قالت: «تبتهج روحي بالله مخلصي لانهُ نظر الى تواضع امتهِ فها منذ الآن تطوّبني جميع الاجيال لان القدير صنع بي عظائم (لوقا ١: ٤٧) وقد صدقت في نبوتها فطوبتها الاجيال وكرمتها الشعوب واحنت لها الملوك الرؤوس واحبتها النفوس حبًّا صادقاً قلبيًا ولا يزال منذ تسعة عشر قرناً يزداد هذا الاجلال وهذا الحب بينما الفراعنة والقياصرة وملوك بابل والفرس الذين دوّخوا البلاد وفتحوا الفتوحات والّهوا ذواتهم وعبدتهم شعوبهم فاقامت لهم الهياكل في حياتهم قد باد ذكرهم وانمحى اثرهم ولا نكاد نرى مما عمّروا وبنوا من المعابد والقصور الّا خرائب ينعق فيها البوم ويقلّب حجارتها الاثريون في ايامنا عساهم يقرأون عليها اسم بانيها

٣ ان الانجيليين لاسى من ان يوسموا بسمة المتداع

لا ينظر القاضي العادل الى كلّ ما يُعرض عليهِ من الشهادات بعين الاعتبار لكنهُ يزن قيمتها الادبيَّة بميزان ضميره ووجدانهِ فربَّ شاهدين يقومان مقام جمهور من الشهود لصفاتهما وطباعهما المتازة. فما هي صفات الرسل عموماً والانجيليين خصوصاً لانهم جميعاً يشهدون لتعليم المخلص وعجائبه

للخُدَعَة الراغب في تمويه خزعبلاتهِ سمات وعلامات تظهر للعيان بالرغم عنهُ لان الطبعَ يغلبُ التطبُّع. فاذا نقَّرت في سيرة الماكر وجدت حياتهُ اليفة الرياء الذي عليهِ ربي وفي زواياه اختبأ يتصنع في الظواهر ويعبث في السرّ بالفضائل يطمح الى المراتب واللذات ولا يسعى الَّا في طلب مصلحتهِ واذا سمعت اقوالهُ او قرأت كتاباته رأيت التصنع والغش والمداجاة مرتدية بثوب يكاد يغطيها على السذَّج لكن لا تخفى على العالم الناقد. وحاشا الرسل ان يوسموا بهذه العلامات ولا بشيء منها. قوم بسطاء فقراء ولدوا وعاشوا في بلاد وقرى الجليل وفلسطين بعيداً عن حيل المخادعين ومداهنة المرائين ولم يعرفوا من الدنيا الَّا العيشة الساذجة الشاقَّة. تركوا شباكهم وبيوتهم وتبعوا المخلص وسمعوا كلامهُ فلم يفقهوه اوَّلاً حتى اضطروا معلمهم مراراً ان يشرح لهم من الامثال اسهلها. قوم ذوو دين صادق وتقوى وزهد قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج مخلصهم خلا يوداس الذي قادهُ حبّ المال الى الخيانة. قال بولس: انتم تعلمون اني لم اشتهِ من احد لا فضة ولا ذهباً (اعمال ٢٠: ٣٣) وقال: نُشتَم فنُبارك نُضطهَد فنحتمل (١ كور ٤: ١٢) وقال: لم آتِ ببراعة الكلام او الحكمة لكن بشهادة الله (١ كور ٢: ١) وقال: اما نحن فنكرز بالمسيح مصلوباً شكاً لليهود وجهالة للامم (١ كور ١: ٢٣)

اقرأ اسفارهم تجد بينات الصدق والامانة بادية في كل فقرة وفي كل سطر منها. يخبرون بما شمعوا ورأوا كما يخبر الشاهد الامين الذي اقسم انهُ لا يزيد ولا ينقص حرفاً من الحقيقة. فلا تبدو منهم عاطفة اعجاب او احتقار غايتها تحريك العواطف في صدر القارئ فهم كالمرآة تعكس عليك الصورة المطبوعة على صفيحتها كما هي. ولا ترى في انشائهم شيئاً مما يقبل عليهِ البيانيون من المجاز والتشبيه والاستعارات المثيرة

للاميال فهم يكررون في كل صفحة. قال يسوع واجاب يسوع: وخرج فرأى اعمى فشفاه... وما شاكل ذلك

دونك وصفهم لمخدومهم وسيدهم وربّهم يذكرون العجائب التي صنعها والتعاليم التي نشرها. ولا ترى في كلامهم ما يستدلّ بهِ عن هيام في نفوسهم او تهلل او هيجان لكن السكينة والبساطة علامتي صدق السريرة. وهم لا يستحون من ذكر مولده الفقير في مغارة بيت لحم وحقارة معيشتهِ مدة ثلاثين سنة كابن نجّار خاملاً مجهولاً وبما لحق بهِ من الاهانات في حياتهِ وايامهِ الاخيرة

لاحظ نعتهم لصفاتهم الشخصيّة فلا يذكرون شيئاً تستشفُّ من ورائهِ رغبتهم في المجد وحسن السمعة لكنهم يعترفون بخمول اصلهم وحقارة منشأهم ومهنتهم ويقرّون بخشونة طباعهم وبرغائبهم الزمنيّة وقساوة قلوبهم وسوء تدبيرهم وضعف ايمانهم وجبانتهم وتوبيخ المسيح لهم. فهذا متّى ينبئنا عن لاوي العشار — وهو هو — ان المسيح تعطف واختاره رغماً عن مقت اليهود واحتقارهم للعشارين. وهذا مرقس يفصل قصة نكران بطرس لربّهِ. وقد سمعها مراراً من فم هامة الرسل التائب. وهذا لوقا يخبرنا في سفر الاعمال عن تعصب بولس الاعمى وسفكهِ للدماء الزكيّة الى ان تحنّن الله فظهر لهُ راحماً فانارهُ وردهُ. وهذا يوحنا لا يكاد يذكر اسمهُ في كل صفحات الانجيل فاذا الجأتهُ الضرورة التاريخيّة لمح اليهِ تلميحاً لطيفاً

فاين الخداع في صفاتهم وانشائهم واعمالهم وتواضعهم واقرارهم بنقائصهم وسيئاتهم. لا لعمري ليست هذه الّا بينات صادقات على سلامة طويتهم وصدق سريرتهم وامانة شهادتهم. وقد اقرّ لهم بذلك الملحدون في القرون الماضية وفي عصرنا. قال الجاحد الشهير جان جاك روسو: « ان قداسة الانجيل تناجي قلبي ولها فيهِ وقع شديد. تصفّح كتب الفلاسفة وما فيها من الفخامة والبداعة فاين هي من الانجيل. فهل يتأتى لبشر ان يجيء بكتاب مثلهُ... أنقول ان التاريخ الانجيلي هو اختلاق واختراع. ثق بكلامي يا صاح لا يكون هكذا الاختراع... فالانجيل مزدان بعلامات من الصدق ظاهرة قوية لا مثيل لها حتى ان مخترعها يكون اعجب من صاحب السيرة الموصوف فيها ». وقال رنان: ان الاناجيل لهي آثار تستحق الاعتبار » وقال جوليخر (Jülicher) « انها ذات قيمة غالية لمعرفة تاريخ يسوع ». وزاد

هرناك (Harnack) « انها محتوية على التقليد الاصلي ». ولو لم يخبر الانجيليون بعجائب لا يرضى الملحدون بها لجلوها في مقدمة كلّ من ادّعى أنهُ مؤرخ وشاهد

وقد يعترض علينا قوم بالفاظنا واقرارنا فيقولون: اذا كان الرسل سذّاجاً أميين فانّى لهم ان ينقلوا لنا اسمى التعاليم التي سمعها بشر وقد اقرّ القاصي والداني انها تفوق ادراك اسمى العقول ولا ينكر حكيم ولا فيلسوف انهُ لم يتكلم قطّ احدٌ مثل يسوع المسيح. فكيف يفقهها صيّادو سمك

نجيب اولًا مع المخلص حيث قال (متى ١١ : ٢٥) : « اعترفُ لك يا ابتِ ربّ السمارات والارض لانك اخفيت هذه عن العقلاء والحكماء وكشفتها للاطفال نعم يا ابتِ لانهُ هكذا حسُن لديك ». فمثلًا يحاول الحكماء والعقلاء او قل بالاحرى مدّعوا الحكمة والعقل احتكارهما في ذواتهما وحرمان سائر البشر منهما فربَّ انسان سليم النيّة والطوية يفقه بلحظة ما لا ينالهُ العالم بالانعكاف على المؤلفات سنين طوالًا

نجيب ثانياً: لم ينهج المسيح في تعليمهِ منهج الفلسفيين في مواضيعهم وقضاياهم ومقدماتهم ونتائجهم لكنهُ تعلم بسلطان وكمن هو الحق بالذات فلا يباحث ولا يجادل لكن يؤكد ويطلب الايمان بكلامهِ. قال: طوبى للمساكين. طوبى للحزانى. طوباكم اذا عيروكم الخ. ولم يجادل في سبب هذا التطويب. امّا كلامهُ فكان من البساطة على جانب عظيم يفهمه الصغير والأمي ولا يدرك غور كنههِ الكبير والعالم وكان المسيح يلقيهِ بالامثال والتشابيه القريبة من العقول وبالحكم الموجزة يكرّرها مرارًا بلفظها الواحد او بما هو بمعناه ليطبعها في العقول والقلوب. لم يذكر الانجيل التطويبات مثلًا الّا في عظة المخلص على الجبل. لكني اعتبر ولا اغالي مخطئاً ان المخلص قالها او قال ما يضاهيها معنًى ولفظاً لا مرة لكن مرارًا فطبعت في الذاكرة فحفظتها

وقد يتابع المعترض كلامهُ فيقول: هب انهم استطاعوا نقل تعليم المسيح ولكن كيف يستطيعون التمييز بين ما هو اعجوبة فائقة الطبيعة وبين الامور الطبيعيّة وهم لم يدرسوا العلوم الطبيعيّة

نجيب: لذا تراهم يصفون ما شاهدوا ورأوا تاركين الحكم للقارئ عالمًا كان ام

لا . راقبوا يسوع الى بركة بيت حسدا فرأوا مخأماً ملقى هناك فقال لهُ يسوع : قم احمل سريرك وامشِ . فللوقت برئ على مشهد منهم ومن الجميع (يوحنا ٥) . ذهبوا مع المسيح في السفينة على بحيرة طبرية فعصفت ريح وساورتهم المياه واضحوا في خطر الغرق فقام المسيح وانتهر الريح وهيجان الماء فسكنا وحدث هدوء (لوقا ٨ : ٢٣ الخ) . كانوا في البرية وخمسة الاف يتبعونهم وليس لهم ما يأكلون سوى خمسة ارغفة فباركها الرب وأعطى لتلاميذهِ ليقدموا للحاضرين فكانوا يفرّقون ولا ينفد الزاد حتى اكل الجميع وبقي من الكسر اثنتا عشرة قفة (مرقس ٦ : ٣٥ الخ)

كان منطلقاً الى نائين برفقة التلاميذ وجمع كثير فاذا ميتٌ محمولٌ وهو ابن وحيد لامهِ فتحنن عليها وامر حاملي النعش ان يقفوا ثم قال : ايها الشاب لك اقول قم . فاستوى الميت وبدأ يتكلم وسلّمهُ الى امهِ (لوقا ٧ : ١١) . مات لعازر ودُفن وبعد اربعة ايام لدفنهِ جاء يسوع فصرخ : يا لعازر هلمَّ خارجاً . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطة بلفائف ووجههُ ملفوف بمنديل فرآه الجميع حيًّا (يوحنا ١١)

وقس عليهِ سائر اخبار الانجيل . فالحاجة للعلوم الطبيعيَّة والمنطقيَّة في الشهادة بما يراه الانسان بعينهِ ويسمعهُ باذنهِ ويلمسهُ بيده لا واحد لكن اثنا عشر رسولاً بل جمهور من الشعب لا في السرّ لكن في العلانية في وانعة النهار (لها بقية)

السر المصون
في
شيعة الفرمسون

درس تاريخي اثري للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ثالثاً الماسونية التركية

قد مرَّ بك ان تركيا كانت بين اوَّل الدول التي ناهضت الماسونيَّة منذ السنة ١٧٤٨ وانَّ بين قوانينها ما يحظر على العثمانيين الجمعيَّات السريَّة . فكان السلاطين العظام ينظرون بعين النفور الى كل ما يتستَّر تحت حجاب الظلمة واذا بلغهم شيء من